معرض الفنان التشكيلي هرير

جراحة لحم اللون وتخزيفه

□ الفنان هرير : انتاج غزير □

افتتح في المنتدى الاجتماعي ، مساء يوم الاربعاء في ١٧/ ١/ ١٩٨٩ ، معرض الفنان اللبناني الشهير بجداريـاته الفنية في القصور والمتاحف ، هـرير ، وقد ضم المعرض حوالي ٣٣ لوحة توزعت كعناوين وموضوعات ، واشكالاً والواناً ... غلبت عليها الايقاعات والموسقة ، والتقنيات اللونية المبرمجة والمعقدة المتناغمة والمعزوفة على جسد الاشكال التي يصوغها الفنان بين السحر والخرافة ، وبين الواقع ، فالحصان يخرج من كثافته الواقعية الى حركته الخرافية ، اكثر من تعيينه كشكل حصان ، يتميز بعرف ممسوق لونياً ، بحركة ريشة رشيقة استطاعت اختزال سكون اللوحة وجمودها وبرودتها ، بسبب دسامة اللون وصلودته وسماكة لحمه وخزفيته ، او تحوله الى زجاج ملون ، مع العلم ان اطراف وجسد الحصان في جموح عنيف وقاس ، لكن اعراف الجياد المرسومة هي التي تنشلها من جاذبياتها الواقعية ، وتدخلها في جنون العاصفة ، عن طريق جنون اللون ولهبيته التي تستعر وتتلظى سواء بالالوان الحارة او بتسخين الحركة في الالوان الباردة ، حيث لجا الفنان الى استخدام اللون بدرجاته ، في لوحة مستقلة ، ثم لجا الى كرنفال وسمفونية الالوان في لوحات اخرى ...

لوحة المدينة الضائعة يتيمة ، ولوحتان لزهرتين ، ثم خلفية اللوحة الاكبر في المعرض ، لوحة الجامح ... دون ان نتحول عن إرادة الفنان بتشكيل وتثبيت شخصيته الفنية ، وتوليف سماته ، وبصم طابعه الخاص من خلال غريزة متوهجة تتدفق وتندلق في فضاء اللوحات ، وعبر تشخيصاتها ، وتكويناتها البصرية ، ومجسماتها الشكلية النحتية النافرة ، وفراغاتها التي تتلاشى فيها حركة الاعراف الجارية ، وشعور النسوة الهادئات في اقسامهن العلويات ، اكثر من الثقل الموجود في اسفل اللوحات ، إن كل الرقص والدبك والايقاع الشكلي واللوني الذي يبدأ من اسفل اللوحات ، او من جوانبها السفليات ايضاً ، يذوبها الفنان عبر فضاء وفراغ ، لا يحتملان هذا التذويب ، لذلك جاءت مسالة حجب الفراغ بدل تشكيله ، وتثبيت الشكل بدل

اللوحة المتناصفة بين الايقاع والموسيقى خبب الخيول .. وتناغم اعرافها في الريح ...

تشكيل الفراغ ، وكان غزارة الالوان دسمها وتموجاتها وزبدها ، وحدة نخومها ، تمارس حضوراً حيوياً متحركاً دائرياً او قوسياً ، او تناغمياً ، او وترياً ، لكي تملأ اللوحات حتى الفيض ، وهذا ما يجعل عيننا امام النص التشكيلي في حالة هبوب دائم ، وحركة مكثرثة او غير مكترثة ، كما وتجعل هذه الحدقات تضيق

□ حصان في مهب الريح □

وتتسع مع متاهات حركات الفرشاة والادوات التي جرحت الالوان المتحفية بجيولوجيا اعماقها ، حيث البريق الذهبي ، واللهب الازرق والاحمر والاصفر ، والبني ، والابيض والزيتي وحتى الرمادي يتماهى بحضوره ويدفعنا الى التماهي معه ، دون ان تمنعنا وضعيتنا امام اللوحات من الافادة من مسافة الوقوف ، الاقتراب والابتعاد ، واعادة التحديق اكثر من مرة مع طرف العين اكثر من مرة ، حين نرى الشكل اجمالاً ، ثم ما نلبث ان ندقق في تفاصيل الشكل ، واكثر من ذلك هذا التدقيق يكون في تفاصيل تماوجات اللون والتماعاتها ، او الدخول الى اعماقها الرحمية ، مع الخروج الى جلدها المخرش بطرائق وادوات شتى ، وكذلك الم ... باحتمالات شتى ايضاً .

لا بد ونحن نجوس معرضاً كهذا لفنان مجتهد ومنتج باستمرار ، من ملاحظة الجدل الضاري بين الاشكال المرسومة بعنف كالخيول ، وبشاعرية كالمراة ، وباطياف واشباح ونظائر ، كالمنازل واشجار النخيل ، فما من شك في التعبير عن مفهوم الجموح والقوة الغريزية الكريمة للخيول ، حيث جاء التعبير بتطاير اعرافها ، وتشنج اجسادها وتمعجاتها ، اكثر من استدراج هذا التعبير من وجوهها ،

رؤوسها وعيونها ، وانوفها وانفاسها ، فرؤوس الخيل غير معتمدة كتعبير مركزي ، بل ناب عن ذلك حركة اطرافها ، واجسادها ، واعرافها الموسقة المتناغمة المتشظية المبعثرة الذاهبة المتلاشية في الغياب ، بدءاً من اروماتها المتلاغمة انتهاءً بأبعادها المتهاجرة المتفارقة الشافة ... وجدل هذه الأعراف الجاريات مع شعور النساء واضح وحصيف ، ان من حيث انفلات الحركة في الاعراف ، وتدويرها واغلاقها في الشعور الجمة الكثة الملتفة المتواشجة المتعضية ، كذلك راس الحصان مع وجه المراة ، ولايستخدم هنا جدل المتناقضات اكثر من استخدامه جدل الذاكرة الذي في داخلنا ، حيث القوة المخزونة في اجساد الخيول ، تقابلها شاعرية اجساد النسوة الممتزجة المغيبة داخل الالوان ، وخلف الشعور والثياب ، مشكلة معها نسيجاً متلاحماً كابياً اسيان ، لكننا نستطيع استشرافها واستشفافها من خلفية الألوان ، كما نستطيع تحديدها دون اية استثارة ، فاجساد الخيول النافرة توازيها اجساد النسوة المتفارقة المتخالجة في سديم اللوحة واللون .

بقيت مسالة تجسيد مفاهيم الذكورة والانوثة بين الحصان والمراة ، وضمناً مفهوم الخلق والاخصاب ، مفهوم الجنس ، حين الفنان ياخذ الاحتراب داخل لوحاته ، ويمارس العنف على نسيجها الرقيق ، فيكسوه باللحم ، ويبدأ جراحة لحم اللون وتخزيفه ، وهذه قراءة ردمية داخل اللوحات ، فالفنان يسقط جيشانه على الاشكال التي يرسمها وقد اشرنا الى مفرداته الاساسية كالحصان والمراة اللذين يشكلان غالبية لوحاته حتى الثلاثين منها ، لكن ذلك ليس في معرض التكرار ، وان كان الحصان هو المستند الاقوى ، مع اضافة المراة ، ثم بعض شجيات الابنية ثم الفارس ، ثم الشمس ، والفضاءات الغرائبية من اشجار ونخيل ، وعمارات مضببة يكللها الضوء احياناً ، واحياناً تظهر بحدة من سطوحها او آفاقها العلوية .

وللذهاب الى اجواء المعرض لا بد من الاسترجاعات قليلاً في ذاكرة الفن التشكيلي ، حيث سنعثر على مرجعية غربية في اللوحات تتماثل او تتقارب معها ، مثل لوحات الفنان فنسان كليمنت ، او لوحات المكسيكيين الجدارية عن الخيول ، او الفنان الفلسطيني مصطفى الجلاج ، او الفنان العربي السوري يوسف عبد لكي ، وكل هؤلاء ابدعوا في تشكيل الخيل كمفردة ، فنية غنية بحركتها ورمزها وتعبيرها ، الا ان ذلك لا يمنع ابداً ، ولا يضير الفنان هرير كما اشرنا الى مجاهدته ومكابدته ومعاناته الشخصية ، في تحصين سمائه وطابع صناعته وتشكيلاته للخيول ، بحيث نستطيع الاستدلال دائماً بعد رؤيتنا لاعماله ، على انها له حتى ولو لم يذيلها بتوقيعه ، وهذا ما يدخل في طرفه ، الاسلوب هو الفنان ، لذلك له اسلوبه الفردي الخاص ، اضافة الى توشيح لوحاته بعوالم شرقية وصوفية وايقونية في فضاء اللوحات او في تلوين النساء ، او من حيث استخدامه للالوان الصفراء الفاتحة المضيئة ، والبيضاء اللامعة ، والذهبية المتبارقة ، والزرقاء المتماوجة المتلاحمة ، سواء كانت لوناً متدرجاً في لوحة ، او احتشدت جميعها في لوحة ولوحات ، فعجينة الالوان تلقت التقنيات الكثيرة المتنوعة ، الجمالية الموسقة احياناً ، والحادة المجروحة المخدشة المحكوكة احياناً اخرى ...

بقي ان نشير في هذه القراءة التشكيلية المتواضعة الى تكرار مفردات اللوحات كالحصان والمراة ، لكن الفنان كان متيقظاً لذلك ، كي لا يستنفد الموضوع ويتشابه ، حين لجا الى الالوان لفرق اللوحات وتنويعها ، ثم لجا الى الحركة في توليف الشكل ، في روايته واسناده ، حيث الحصان مجموعات مع المراة ، راسه لاسفل ، وافقي الجسد وراسه لاعلى ، وحيث في اللوحات المفردة افقي وعامودي وجامح ، ومواجه ، ومدبر ، وراس الى الاسفل والاعلى ، وتنويع بين الزيت العجيني السميك الطافر ، وبين الغواش الشاف الرقيق الهاب اللهبي المتطاير ، تارة بمركزية العرف ، واخرى بمركزية الجسد ... لكن الجسد الخيلي اكثر ما يظهر من المنتصف للامام ، ونادراً ما يظهر منتصف الجسد الخلفي ، مع انه الذي يختزن القوة ، والغريزة ، والرمز والاخصاب ، فيما لجا الفنان كما يبدو الى تحميل الحصان عواطفه الجياشة في عرفه وراسه وصدره وحركة قوائمه الامامية الضاربة ، ومحاولة انسنته في الحب ، مع نفحة متغربة من خيول القرون الوسطى في جموحها وغرائبيتها كما في لوحة الرحلة الى الشمس التي فيها اعماق متماوجة ، ولهبيات عارمة ، وسطوح رجراجة ، والوان متصاهلة .

كما ان معادلة الفن التشكيلي تكمن في فصاحة اللون والخط وتشكيل الفراغ ، يكمن قسم منها دون ان يكون الاساسي ، في الشكل ، وهنا في لوحات المعرض ، ننشغل كثيراً بانسجام الالوان ، وحدتها ، وتفاوتها ، وفصاحتها وبوحها ، ومخزونها الجمالي المنغوم ، وكذلك بحركة ريشة على الأعراف تعزف الموسيقى مفردة وفي تخت موسيقى متكاتف متآصر ، الا اننا دائماً نعود الى الشكل ، سواء للوهلة الاولى ، او بعد تتبعنا لتفاصيل الالوان والجزئيات وتقنياتها في النهاية . وبذلك تتقاصر الرؤى التشكيلية عند هذا الحد ، لنخرج من كل اللوحات بحصان واحد وامراة واحدة ، وزهرة واحدة ، ومدينة ضائعة واحدة بفضائها وفراغها الفني المعقول ، وبخلفية لوحة الجامح بفراغها القوي المنهوم ... وهذا خطر يمكن ان يستشري في اعمال الفنان اذا لم يلجا الى التنويع اكثر ، ومحاولة تذويب الشكل وتضبيبه اكثر ، وكذلك محاولة تشكيل الفراغ ، حين نقر بانه يتقن ذلك من الفراغات الضيقة في اللوحات والتي تبدو نائية شاعرية رهيفة تترك العين سرابية باتجاه الافق الغامض السديمي ، وتترك النفس سارحة في ضبابها القزحي المريح .

زهير غانم ز . غ

بيروت ١٩/ ١/ ١٩٨٩

□ الافتتاح بكثافة الحضور □